الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
المركز الجامعي لميلة

معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

# جدلية الحياة والموت في الطلل
# دراسة في المعلقات

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ليسانس، في اللغة والأدب العربي
تخصص: الأدب العربي

إعداد الطلبة:
وهيبة جرفي.

إشراف الدكتور:
محمد زلاقي.

السنة الجامعية:2012/2011

بسم الله الرحمن الرحيم

# بطاقة الشكر

في مثل هذه اللحظات يتوقف اليراع ليفكر قبل أن يخط الحروف ليجمعها في كلمات ، تتبعثر الأحرف وعبثاً أن يحاول تجميعها في سطور، سطوراً كثيرة تمر في الخيال ولا يبقى لنا في نهاية المطاف إلا قليلاً من الذكريات وصور تجمعنا برفاق كانوا إلى جانبنا.

فواجب علينا شكرهم ووداعهم ونحن نخطو خطوتنا الأولى في غمار الحياة ونخص بجزيل الشكر والعرفان إلى كل من أشعل شمعة في دروب عملنا وإلى من وقف على المنابر وأعطى من حصيلة فكره لينير دربنا إلى الأساتذة الكرام في معهد الآداب و اللغات ونتوجه بالشكر الجزيل إلى الدكتور:**محمد زلاقي** الذي تفضل بالإشراف على هذا البحث والذي كان القائد و المعلم،و كل الأساتذة الذين ساعدوني خاصة خاصة الأستاذ :عبد الحليم معزوز الذي كان بدرجة الأستاذ والزميل وخير معين،و الأستاذ :مسعود بن ساري ،وسليم مزهود.

فجزاكم الله عني كل خير و مني لكم كل التقدير والاحترام.

# المدخل:

أولا :ضبط المصطلحات :

-مفهوم الجدلية.

-مفهوم الطلل.

ثانيا :خلفية الصراع بين الحياة والموت لدى الشاعر الجاهلي:

-صراع الشاعر مع نفسه.

-صراع الشاعر مع الآخر.

- صراع الشاعر مع الطبيعة.

## أولا : ضبط المصطلحات:

### 1 -مفهوم الجدلية :

### أ/ لغة :

جاء في لسان العرب لابن منظور أن (( الجَدَلَ:اللَّدَدُ في الخصومة و القدرة عليها ،وقد جادله مجادلة ،وجدالا و رجل جَدِلٌ و مِجْدَلُ و مجدال :شديد الجدل ،و يقال جادلت الرجل فجدلته أي خاصمه و الإسم الجَدَلُ ،هو جدلا أي غلبته ،و رجلٌ جَدِلٌ إذا كان أقوى من الخصام ،و جَادَلَهُ شدة الخصومة ))[1]

((الجدل مقابلة الحجة بالحجة ،و المجادلة :المناظرة و المخاصمة .قال ابن سيده :أراه ،لأنه الغالب عليهم إذا اجتمعوا أن يتجادلوا .

قال العجاج :

فَانْقَضَّ بَالسَّيْرِوَ لَا تَعَلَّلْ ***بِمِجْدَلِ وَنِعْمَ رَأْسِ المِجْدَلِ ))[2]

وجاء في المعجم الوجيز : (( الجدلُ طريقة في المناقشة و الاستدلال صورها الفلاسفة بصورة مختلفة و هو عند مناطقة المسلمين قياس مؤلف من مشهورات و مسلّمات )).[3]

فالجدل و الجدلية كل حوار قائم بين فردين أو جماعتين أو اتجاهين مختلفين حول أمر ما .

---

1-ينظر : .خالد رشيق القاضي ضبط نصه و علق حواشيه ،لسان العرب ،ط1 ،2006،دار الصبح،ج2،ص.196

2- المرجع نفسه ص196

3- المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية ،ط1،1980م-1410ه ج1،ص96

## ب/ اصطلاحا:

و في الحديث عن الجدل في القرآن الكريم ؛فقد نجد الجدل في مواقع كثيرة و أولها في سورة المجادلة :و قوله تعالى : ((قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها و تشتكي إلى الله ))[1].وهما يتجادلان في ذلك الأمر .

و قوله تعالى : (( و من الناس من يجادل في الله بغير علم و يتبع كل شيطان مريد))[2] .

الجدليون : من اشتهر بالجدل كالسفسطائيين بين اليونان و المعتزلة بين المسلمين .

فالجدل يبقى قائما بين كل فريقين مختلفين في الرؤى و الاعتقاد .

1-سورة المجادلة.الآية1

2-سورة الحج الآية3.

## 2 -مفهوم الطلل

### أ/ لغة :

قال ابن منظور في لسان العرب : (( والطلل ما شخص من آثار الديار ،و الرسم ما كان لاصقا بالأرض ،و قبل كل شئ شخصه ،وجمع كل ذلك أطلال و طلول (...) ،و يقال : حيّا الله طللك و أطلالك أي شخصك (...) أي ما شخص من جسدك )).[1]

و يتفق ما ذهب إليه مع آثار الديار ،يقال لشخص الرجل طلله ،ومن ذلك أطلّ على الشئ إذا أشرف و طلل السفينة جلالها والجمع أطلال )) .[2]

فالمفهوم اللغوي للطلل يحمل ما أشار إليه الشعراء و هي الدار الدارسة .

### ب / إصطلاحا :

ولعل الشخوص والظهور هو السمة المميزة لبقايا الديار و آثارها و لو عفت و زالت عنها صفة الظهور لما كان الطلل لكن أكل ما ظهر من آثار الديار و بان طلل بالمعنى الاصطلاحي الذي يستحق ولوج القصيدة فيثرينا و يعطينا زخما من المعاني و الدلالات .

بل إنها : أطلال ديار الحبيبة الراحلة التي عفت و أقفرت بعد رحيلها و ما يراه صاحبها من آثار الحياة الماضية (...) ،و في أثناء ذلك يتذكر الشاعر صاحبته البعيدة النائية ،فيصف جمالها و حسنها ،و يستعيد إلى خياله ذكرياته معها (...) و يصور حبه و غرامه و آلامه و أحزانه.

---

(1)ابن منظور،لسان العرب ،ط1،2006،دار الصبح ،ج8،ص128

(2)ابن فارس،معجم ابن فارس،ص 205

## ثانيا : خلفية الصراع بين الحياة و الموت لدى الشاعر الجاهلي :

لكل بيئة مناخها الذي يميزها و يتأقلم الإنسان في ظله و هذه البيئة بكل ما فيها كانت صرحا مفتوحا على مصراعيه لإلهام الشاعر العربي الذي نظم قصائد عدة، فنجد أدباء تلك الفترة يعمدون إلى تصوير الواقع على أنه صورة زيتية لفنان تشكيلي جعل من الأصل بداية لكل الفروع حتى أننا نعتبر الأدب الجاهلي الكنز الوحيد الذي يمكنه أن يساعدنا على معرفة الحياة العربية من شتى جوانبها ،فنجد الشاعر الجاهلي واسطة بيننا و بين الطبيعة –في ذلك العصر-،فنشعر عند قراءتنا لذلك الشعر أننا أبناء العصر فنعيش بين طيات المواضيع التي تتناولها تلك القصائد ،كأننا نعيشه جسدا و روحا ،و هذا يدل على قدرة الشاعر الجاهلي في الوصول بفكره الحاذق إلى عقول أخرى أمكن إقناعها و السيطرة على فكرها. فنجد أنفسنا عند قراءة شعرهم ،و خاصة المعلقات مشدودين إليها لما تكتنزه من قضايا فكرية و قيم فنية.

فأول مايرتبط به الشاعر الجاهلي هو محيطه الخارجي و خاصة الطبيعة التي طغت عليه بمؤثراتها حتى صار يقلدها قصد التعايش معها ف (( يشعر و هو يشارك الأشياء وجودها أنه يعيش وقتيا ،يتعدب عداب من لا يقدر إلا أن يخضع في النهاية أنه خارج العالم وخارج نفسه معا :كئيب يعتزل،ينتظر يتململ ،يغامر يتمنى أن يقهر الزمن و الموت و التغير أن يصير كالحجر)) [1].

فجدلية الحياة و الموت لدى الشاعر الجاهلي عبارة عن صراع نفسي بالدرجة الألى قبل أن يكون صراعا شخصيا ضد الآخر ،فالطبيعة بقدر ما هي صديقة له إلا أنها عدوه اللذوذ التي تسبب فراق الأحبة و هجرهم له ،مع أنها حتمية لصيقة به فأرقته قفار المفازة ،و جعلته تائها في بيئة قاسية صحراوية، و على الرغم من ذلك لم ييأس (( فما يزال هو الرجل الذي يضرب في الأرض بعزيمة ثابثة لا تعرف الهزيمة )) [2] .فواجه الطبيعة بكل ما فيها من صعوبات حتى أنشأ من القصائد جيدها و من الأشعار طوالها و أرقاها في تاريخ الأدب العربي .

---

1-عفت الشرقاوي،دروس و نصوص في قضايا الادب الجاهلي،دار النهضة العربية للطباعة و النشر،ص234-.235

2-محمد زكي العشماوي،النابغة الذبياني مع دراسة للقصيدة العربية في الجاهلية،دط،دار الشروق الأولى،1994،ص268

## 1-صراع الشاعر مع نفسه :

لما كانت الفطرة الإنسانية ترمى إلى حب الذات فإننا نبدأ هذه الصراعات المذكورة سابقا بصراع الشاعر مع نفسه.

كثيرا ما نقول عمن وُرِيَ التراب أنه ميت ،إلا أن ما وصلنا إليه من حقائق حول الشاعر الجاهلي أنه لم يخش المنية يوما .و في هذا الصدد يقول :عنترة بن شداد: (1)

**يُخبرك من شهد الوقيعة اننـــــــــــي **** أغشى الوغى و أعف عند المغنـــــم**

فعنترة هنا يبين لعبلة أنه يغشى الحرب بكل شجاعة فلا يهاب أن يُقتل فيها و لا يبالي بأذاها .

## 2-صراع الشاعر مع الآخر :

أما النوع الثاني فهو صراع الشاعر مع الآخر كصراع الإنسان مع أخيه الإنسان.

طبعت الحياة الجاهلية - في أغلبها –بكثرة الصراعات بين الأفراد و القبائل،و قد تكون أحيانا لاتفه الامور .ولنا في حرب البسوس خير مثال ،و ليس ناظموا المعلقات استثناء ،فنجد في نتاجهم بعض النمادج .لقول عنترة بن شداد : (2)

**خُلِقْتُ للحَرْبِ أَحْمِيهَـا إِذَا أَدْبَرَتْ *** وَأَصْطَلِي بِلِظَامِهَا حَيْثُ أَحْتَرِقُ**

**وَ أَلْتَقِي الطَّعْنَ تَحْتَ النَّقْعِ مُبْتَسِمَا *** وَالخَيْلُ عَابِسَةٌ قَدْ بَلَّهَا العَرَقُ**

**لَوْسَابَقَتْنِي المَنَيَـا وَهِـيَ طَالِبَـــةٌ *** قَبْضَ النُّفُوسِ أَتَانِي قَبْلَهَا السَّبْقُ**

فما أنشده عنترة في هذه الأبيات كان بسبب وقعة بين قبيلته وبين قبيلة بني زبيد،وهي تصريح مباشر على أنه لا يخشى اعداءه مهما كانت صفتهم بل ويقتحم الحرب و يجابه العدو ،و لكثرة الصراعات و طولها مع غيره يصف لنا الخيل التي بلها العرق من شدة هول الحرب .

1-محمد فوزي حمزة، دواوين الشعراء العشرة،الطبعة الاولى،س 2007،مكتبة الآداب،القاهرة. ص250.

2-المصدر نفسه،ص181.

أما عمرو بن كلثوم فيقول : [1]

**بِيَوْمِ كَرِيهَةٍ ضَرْباً وَ طَعنا أقـــــرّ **** بـه مـواليك العـيونـــــــا**

**و إنَّ غدًّا و إنّ اليوم رهـــــــنٌ **** و بعد غدٍ بما لا تعلمينـــــا**

فعمرو بن كلثوم يحمل لنا شدة هذا الصراع في هذه الواقعة ،فبقدر ما كانت الضربات بين التقاتلين قوية بقدر جهلهم إن كانوا سيواصلون هذه الحرب غدا ،لأن لكل منهم دافع القضاء على الآخر.

و في موضع آخر في المعلقة يقول : [2]

**أبا هنــد لا تعجــتل علينـــــــا **** وانظرنا نخبرك اليقينـــــا**

**بأنا نورد الرايات بيضـــــــــــا **** و نصدرهن حمرا قد روينــا**

**و أيام لنـــا غـــــــرٌّ طـــــوال **** عصينا الملك فيها أن نـدينـا**

و هذا وجه آخر من التحدي الموسوم بالشخاعة و عدم الخوف من الطرف المصارع له،فقد واجه الملك أبا هند وتحداه بكل جرأة.

والنابغة الذبياني ، يقول : [3]

**وكان ضمْران منه حيث يوزعه *** طعن المعارك عن المحجر النجد**

**شكّ الفريضة بالمدرى فأنفدها *** طعن المبيطر إذ يشفي من العضـد**

1المصدر السابق،ص181

2-المصدر نفسه،ص 181

3- المصدر،نفسه،ص372.

**كأنه ،خارجا من جنب صفحته *** سفّود شرب نسوه عند مفتـــــــأد**

مثل لنا النابغة الذبياني صراعه مع خصومه في حيوانين هما (الثور)و الكلب (ضمران)حيث نلمح شعور الخوف يمتزج بشعور الغضب و العزيمة يتقاسمه كل منهما لاثباث الذات.

و هذه الصورة اسقاط لما كان عليه النابغة مع النعمان هفو لم يتسرع في الاعتدار له بل انتظر الفرصة المناسبة –كما فعل الثور مع الكلب-،و قد أثمرت جهوده فصفح عنه وهذه غنيمة النابغة بقدر ما هي فوز للثور على الكلب الذي هاجمه.

فالبيئة الجاهلية التي كان يعيشها الجاهلي تكاد تكون خالية من القوانين التي تضبط هذه البيئة ،وتضمن له حياته مع بني جنسه مما سبب الفراغ النفسي الذي يعيشه و النهاية المجهولة التي لم يجد لها جوابا .

ونتيجة لذلك ظهر الصراع الدائم بين القبائل بعضها مع بعض و بسط نفوذها على أراضي الري ومواقع الآبار . فكثيرا ما نسمع عن حروب يطول مداها لسنين بسبب صراع فردين من قبيلتين مختلفين قوة و نسبا و جاها ،فما قصى على النسل البشري إلا الحروب المتتالية و ما أكثرها في العصر الجاهلي .فلكل حرب من تلك الحروب أسبابها ،حتى جعل الشعراء لها أسماء كثيرة تدل عليها،فعمرو بن كلثوم أطلق عليها اسم:بيوم كريهة و النابغة الذبياني: بالمعارك.

و يغدي هذه الصراعات العصبية القبلية التي حالت بين النفس الطيبة والمتعصبة للعربي ،فجعلت من كل فرض قبيلة في حد ذاتها، فنجد الواحد منهم و كأنه سيد قبيلته يحميها بكل إخلاص و يمجد أفعالها و يتباها بمآثرها، فالشاعر على وجه الخصوص لسان قبيلته و مرآتها.

## 3-صراع الشاعر مع الطبيعة :

كثيرا ما كونت الطبيعة الخلفية التي بنى عليها الشاعر الجاهلي تصوراته ويومياته ،وقد ارتبطت هذه الأحداث وإفرازاتها النفسية لدى الشاعر بهذه الخلفية. بحكم أن الشاعر العربي ابن بيئة صحراوية تتميز بالقساوة و الجفاف فقد تلونت أشعارها بخصائص هذه الطبيعة ،و لكنه من جهة أخرى حاول أن يثبث وجوده على حساب الظروف المحيطة به ،مما ولّد صراعا بينه و بين هذه الظروف ،فنجده يلخص كل ما يمر به في حياته في صور شعرية يترجمها بمواد الطبيعة فلبيد بن ربيعة يقول : (1)

**أورجْعُ واشمة أُسِفَّ نـــــؤورها *** كِفَفًا تعرض فوقهنَّ و شامهـا**

**فوقفت أسألها و كيف سؤالنـــــا *** صمًّا خوالد ما يبين كلامهـــا**

**عريت وكان بها الجميع فأبكروا *** منها و غــودِر نؤيـها و ثهامها**

أما لبيدا فيصف ما بقي من آثار الديار،و يسأل آثارها و هي لا تعدوا أن تكون حجارة و جبالا – صمّا خوالد- غادرها القوم و زالوا.(2) و كون الطلل جزء من صنع الطبيعة ،فقد جعلها الشاعر تجسيدا لظروفه النفسية و ما يتوافق مع شعوره.

فالعامل الجغرافي من أهم العوامل التي ساعدت الشاعر الجاهلي على التنفيس عن مشاعره و خلجاته ، فقد عملت البيئة عمل المنشط لما يحمله من مشكلات تؤرقه ((وترجع أهمية العامل الجغرافي إلى أنه يعمل في قوة و إلحاح فهو قوة ثابثة لا تكف عن العمل ))(3).

(1)محمد فوزي حمزة،دواوين الشعراء العشرة،ص106.

(2)المصدر نفسه ،الحاشية،ص161.

3-يوسف خليف،الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ،دار غريب للطباعة ،د ت،ص57.

ومن مظاهر الصراع بين الأنا الشاعرة و الآخر الطبيعة قصص الحيوان المبثوثة في الشعر الجاهلي ،و التي تعبر عن هذا الصراع و هذه المواجهة في مطلع الناقة عند لبيد يكون هو النموذج و المثال الذي يسطفيه الششاعر الجاهلي مردفا بذكر الحبيبة النائية عنه ،فيعبر لبيد عن هذا بالحمار الوحشي و آتانه التي حملت منه .فبسبب غريزته الشديدة عليها عان الكثير من العض و الضرب لأجل حمايتها لأنها تعارض اقترابه منها ،فيزيد ذلك ارتباطه و حبه لها،فيقول: (1)

**أو ملمع وسقت لأحقب لاحـــه **** طرد الفحول وضربها و كدامهـا**

**يعلو بها جُدب الإكام مسحجـــا **** قد رابه عصيانها و وحامهـــــا**

**بأحزة التلبوت يربأ فوقهـــــا **** قفر المراقب خوفها آرامهـــــا**

**حتى إذا سلخا جمادى ستـــــة **** جزآ فطال صيامه و صيامهـــــا**

**رجعا بأمرهما إلى ذي مِـــرّة ****حصد و نُجح صريمة إبرامهـــــا**

**ورمى دوابرها السفا و تهيجت**** ريح المصايف سومها و سهامهـا**

**فتنازعا يطير ظلالـــــــــــــه**** كذخان نار ساطع أسنامهـــــــــا**

**فمضى و قدّمها و كانت عـادة****منه إذا هي عرّدت إقدامهـــــــــا**

فحمل هذا المثال علامات تميز بها لبيد ، كالعزيمة التي يستطيع أن يواجه به كل الصعاب و الثباث و الإصرار الذي يملأ كبرياءه كفرد عربي لأجل حصوله على كل ما يريده حتى و إن تسبب ذلك في معاناة و قلق و خوف.

1- محمد فوزي حمزة،دواوين الشعراء العشرة،ص162.

ثم يمضي إلى الصورة الثانية و هي تشبيهه للناقة بالبقرة المسبوعة ،والتي ما إن غفلت لوهلة عن صغيرها حتى لقي مصرعه على يد الذئاب الرمادية.

وقد صور لنا لبيد هذه المأساة تصويرا واقعيا مما ساعد على التعاطف مع هذه البقرة في معاناتها ،فيقول : (1)

**أفتلك أم وحشية مسبوعـــــــــــة **** خذلت و قوام الصِـوار قوامهـــا**

**خنساء ضيعت الفريـر فلم يَـــــرِمْ **** عُرض الشقائق طوفها و بغامهـا**

**لمعــفّر قــهدٍ تنــازع شِلْـــــــــــوَة **** غُبسٌ كوابسُ ما يُمَنّ طعامهـــا**

**صــادفن مــنها غِتترَّة فأصبنهـــــا **** إنَّ المنايا لا تطيش سهامهـــــا**

وما زاد من إحساسنا بوقع هذه المأساة حينما جعل هذه الكارثة تدبيرا من قدر محتوم لا يملك أحد له دفعا ولا ردا،بقوله: ((أنّ المنايا لا تطيش سهامها )).

ومن مناقشتنا للنمادج السابقة يتجلى لنا دور الطبيعة في التعبير عن نفسية الشاعر،فهي خلفيته التي تدفعه لإبداع مثل هذا الشعروهذا كله نتيجة الظروف القاسية التي تفرضها الطبيعة على سكانها و خاصة إذا أمسكت السماء مطرها وجعلت من الصحراء غير صالحة للعيش حيث توصد أبوابها على الخيرات و الرزق في وجود قاطنيها،حيث إنها عامل أساسي في (( وجود الفقر من ناحية ،و في الإحساس به من ناحية أخرى ))[2] .فالسهول القاحلة لا تسمح بزيادة في الثروة الإنتاجية على عكس قطعان الغنم و الماشية غير أنها تنمو هزيلة لقلة ما تقدمه المراعي من غداء ،فهو عبارة عن ((تلك الحشائش و الأعشاب و ما يشبهها من أنواع النبات التي تحمل جفاف صيف طويل ،والتي

1-محمد فوزي حمزة،دواوين الشعراءالعشرة،ص162.

2- يوسف خليف،الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي،68.

تحتاج إلى وقت قصير لنموها))[1].

فبقدر ما كانت الطبيعة أنيسا للإنسان ، كانت أيضا عامل هدم منغص للإنسان.

(1)المرجع السابق،ص69

# الفصل الاول: مظاهر الحياة في الطلل

الفصل الأول :

1-آثار الديار النابضة بالحياة.

2-المرأة/الخصوبة

3-الماء رمز الحياة.

إن الحياة و بكل ما تحمله من فقر و جذب و وحشة تبعث فب نفس الشعراء الحنين الى الارض و الامل في البقاء فيها ؛ فهي ترمز عندهم للثبات و الخصب و الحياة و التجدد و الخلود ؛و من هنا فالوقفة الطللية التي صاغها الشعراء الجاهليين كانت لحظة تأمل اخذت بالشاعر الى بعد التحديد و التمييز بين ان كانت وقفة للفناء ام البقاء غير انه في الاخير ادرك ان الحياة هي الوحيدة التي من واجبه ان يعيشها بكل لحظاتها حتى ينتصر على الموت .

## 1)آثار الديار النابضة بالحياة :

بالرغم من ان العربي الجاهلي عان كثيرا من الويلات بعد الحبيبة و هجر و موت الاهل و الصراع من اجل البقاء ؛ فبعد وقوفه على الاطلال الديار راح بمخيلته الخصبة الى مدى شروق حياة جديدة بين اطراف ذالك المنزل بفعل الامطار من مسكن موحش الى ساحة تشع اخضرارا و ازهارا وحشائش قصيرة في المكان كله ؛ليسيطر ذلك المنظر في ابيات قالها لبيد بن ربيعة (1).

**عفت الديار محلها فمقامهـــــــا**** بمنى تأبد غولها فرجامهـــــا**

**فمدافع الريان عرى رسمهـــــــا****خلقا كما ضمن الوحي سلامهـا**

**دمن تجرم بعد عهد انيسهـــــــا****حجج خلون حلالها و حرامهـــا**

فمن أبيات لبيد تتجلى لنا صورة حياة حاملة لكل معاني الأمل و الازدهار في نفس أتعبتها الاطلال ،فالأمطار المنهمرة التي سقت هذه الديار جعلت منها مكانا يعج بالحياة.

لتصبح معاني هذه الرسون و هذه الديار الى ما قاله لبيد في مواضع تنبض بالحياة فيقول:(2)

**رزعت مرابيع النجوم و صبابهـــا****ودق الرواعد جودها فرهامها**

**من كل سارية وغاد مدجـــــــــن****وعشية متجاوب إرزامهـــــا**

**فعلا فروع الأيهـقان أطفـــــــلت****بالجلهتين ضباؤها و نعامهـا**

**و العين ساكنة على أطلائهـــــــا****عودا تأجل بالفضاء بهامهـــا**

1-محمد فوزي حمزة،دواوين الشعراء العشرة،ص.121

2-المصدر نفسه،ص121.

فصورة العدم التي ترمز لها الدار الدارسة تقف جنبا إلى جنب من صورة الحياة النامية المزدهرة التي تحولت إليها الدار بفعل الإخضرار و الظباء و النعام والبقر،و هذا الإندفاع المتجدد إنما هو رغبة في البقاء،و يقاوم الشعور بالهزيمة و المضي في طريق الحياة بخطى ثابثة،و هذه هي شخصية العربي الجاهلي الصامدة ضد كل مضعِّفات عقله المتوهج بحقيقة البقاء البقاء و الخلود والتواتر على البسيطة.

و في طللية امرئ القيس التي تتصدر المعلقة نقف على هذا الصراع الذي يكشف عن تشبث العربي بالحياة في مواجهة الموت،يقول: (1)

**قفا نبك من ذكرى حبيب و منـزل****بسقط اللوى بين الدخول فحومل**

**فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها****لما نسجتها من جنوب و شمـــأل**

**ترى بعر الآرام في عرصاتهـــا****و قيعانها كأنها حب فلفـــــــل**

**كأني غداة البين حين تحملـــــوا****لدى سمرات الحي ناقف حنظـل**

**و إنّ شفائي عبرة مهراقـــــــة****وهل عند رسم دارس من معول**

فمن هذه الابيات لمعلقة امرؤ القيس نجد بداية بكائه على الأطلال و وقوفه و استدعائه لصاحبيه للوقوف معه و مشاركته هذه الوقفة.غير أنه لم يطل البكاء عليها لتمسه بالحياة،فيبدأبوصف الظباء المنتشرة في وسط الدار و حوله و التي تضفي على المكان روحا جديدة.

و هاتان الصورتان تسيران جنبا إلى جنب مع صورة الديار التي لفها الخراب،و صورة الحياة في الدار التي تعج بين أطرافها.فالبيئة الصحراوية القاسية هي التي تدفع بالشاعر الجاهلي إلى افتعال هذا الصراع لمواجهة الضعف النفسي في داخله.

أمافي مطلع معلقة طرفة فنجده يقول : (2)

**لخولة أطلال ببرقة ثهمـــــــــد****تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد**

1-المصدر السابق ،ص.33

2-المصدر نفسه،ص53.

**وقوفا بها صحبي عليّ مطيهـــم****يقولون لا تهلك أسى و تجلـد**

فهذا المطلع يحمل لنا صورة تدل على الحياة ،رسمها الشاعر لنا من خلال الوشم الذي شبه به الديار.فبقدر ما بقي الوشم خالدالا يُمحى على ظاهريد المرأة بقدر ما تبقى هذه الديار صامدة أمام قوى الطبيعة ،و ما زاد من إصرار الشاعر و تشبثه بالحياة هي مواساة أصحابه له و طلبهم منه الصمود و عدم الاستسلام لذلك ؛لان رسمالطلل أعياه حتى أهلكه أسى،لكنه لا يستسلم لهذا الوضع فتجلد ليتمكن من مواصلة حياته ،فعبارة:لا تهلكأسى وتجلد تكشف عن جدلية وصراع واضح ،فالأسى يدل على الفناء ،أما التجلد فيبعث على الأمل و الحياة.

ثم يواصل طرفة تعلقه بالحياة،وذلك بتوظيفه لعنصرالخصوبة والنماء وهي المرأة،إذ يقول:(1)

**كأن حدوج المالكية غـــــــــدوة****خلايا سفين بالنواصف مـــن دد**

**عدولية أو من سفين ابن يامـــــــن****يجور بها المالّح طورا و يهتـدي**

**يشق حباب الماء حيزومهـــــــــا****كما قسم التراب المفايل باليـــد**

**وفي الحي أحوى ينفض المرد شادن****مظاهر يسمطي لؤلؤ و زبرجـد**

**خـدول تراعي ربربا بخميلـــــــــة****تناول أطراف البرير و ترتـــدي**

**وتبسم عن ألمى كأن منـــــــــوّرا****تخلل حر اللرمل دعص له نـــدى**

**ووجه كأن الشمس حلت به رداءهـا****عليه نقي اللون لم يتخـــــــــدد**

فهذه البيات تحمل صورة الحياة التي قدمتها المرأة للرجل حتى تمكنه من المضي قُدما،فالمعاناة التي وضعها الطلل أمامه بسبب الفعل القاسي الذي احدثته الطبيعة،انتشلته منه المرأة التي أعطته روحا ملئ بالامل و الحياة،فلشدة افتتانه بها جعلها قرينة بأروع الصور الطبيعية فوصفها بالظبية في جمالها الطبيعي ،من كحل العينينو سمرة الشفتين وحسن الجيد، فقد ((صرح بأنه انسان،وقد لبس عقدين أحدهما من لؤلؤ و الآخر من الزبرجد و حسن

1-المصدر السابق،ص53

الجيد،ثم أخبر أنه منتحل بعقدين من لؤلؤ وزبرجد))[1]فمهما حاولت الطبيعة احباط نفسية الشاعر بوجه أخص و العربي بشكل أعم تبقى عزيمته هي السلاح الذي يحيا به و يجابه الصعاب المحيطة به كالديار التي رغم الحالة التي آلت إليها بقت صامدة و أفرزت بين جنباتها روحا جديدة.

1- الامام ابي الفضل عبد الله الحسين الزوزني،شرح المعلقات السبع،المكتبة العصرية،الجزائر،دط،دت،ص54. في الحاشية

## 2- المرأة /الخصوبة:

كثيرا ما تعلق الشاعر الجاهلي بما يملأ حياته أملا و يريح تفكيره من الفناء،فكانالتوالد أحد هذه الأمور التي تساعده على ذلك،جعل لأجل هذا علاقته مع المرأة من أولى العلاقات التي أقامها و تشبث بها أيما تشبث ،فالمرأة في نظره رمز للحياة و أرض للخصوبة و النماء،حتى سميت الريح الطيبة التي تفوح منها حسب ما جاء في معلقة امرؤ القيس((كأنها ريح الصبا و معروف أهمية هذه الريح لا تأتيه بالطراوة و البرودة فقط ،بل هي محملة بعبق القرنفل و رائحته)) (1) ،إذ يقول : (2)

**إذا التفتت نحوي تضوع ريحهـــــا****نسيم الصبا جاءت بريا القرنفـــل**

هذا التشبيه الذي قدمه لنا امرؤ القيس دليل على السمة الجمالية التي حضيت بها المرأة عنده، فالمرأة و بكل ما تملكه من أنوثة خلقت في نفسية الشاعر جسرا يعبر به من التعاسة و التفكير في الموت إلى الحياةبكل ملذاتها من خلال الأحلام و القدرات التي تمنحها له للمضي قدما نحو البقاء ،إضافة إلى أنها تبعث في نفسه الشعور بالحب و الحنان الأبدي الذي حُرم منه من أهله و الطبيعة القاسية التي تحيط به. لهذا فالبحث عن الراحة النفسية من الموت و الفناء لا تكون فقط بتشييد القصور واستحضار المأكل و المشرب بل يكمن أيضا في إيجاد حضن امرأة تأوي هذا الرجل التائه لتلهيه عن التفكير بالموت و تمنحه القدرة على الحياة و انجاب الأطفال منه لأن خلود الإنسان و ديمومة نسله تكون عن طريق التوالد حيث يرى الإنسان الجاهلي أن الخلود و الحياة يأتيان بكل شئ جديد ،أما الموت فله نفس الحالة التي وُجد عليها منذ القديم.

فنجد المرأة نوعين في نظر الشاعر المرأة الحية في عالم الواقع و المرأة نفسه و روحه وذكرياته،فالشاعر الجاهلي يعد المرأة رمزا للحركة و الحياة،فنجد على سبيل المثال امرؤ القيس عند ذكره للأطلال يعرج مباشرة إلى تذكر أيامه الجميلة مع النساء ،فمن أم الحويرث إلى أم الرباب في البيت القائل: (1)

1-عمر محمد الطالب،عزف على وتر النص الشعري،دراسة في تحليل النصوص الأدبيةالشعرية،منشورات اتحاد الكتاب العرب،دط،دمشق،2000،ص.17

2-محمد فوزي حمزة،دواوين الشعراء العشرة،ص33.

**كدأبك من أم الحويرت قبلهـــا****و جارتها أم الرباب بمأســـــل**

إلى عنيزة التي دخل خدرها قائلا: (2)

**ويوم دخلت الخدر خدر عنيزة****فقالت لك الويلات إنك مرجلـــي**

**يقول وقدمال الغبيط بنا معا****عقرب بعيري يا امرأ القيس فانزل**

و بهذا فالشاعر الجاهلي يرى أن المرأة هي مستقر أمان لهمن كل المخاطر التي تهدد حياته،كالرحيل و الغربة و الخوف من الموت،فكل هذه المغامرات نتيجة الأسى و الضعف النفسي الذي سببته الحياة.

وعليه فالطبيعة بكل ما تمارسه من قساوة وما تسببه من انهيار نفسي للشاعرلها من يواجهها ،انها المرأة واقفة موقف المدافع عن الرجل إزاء تلك الظروف القاسية القاهرة ،و بهذا اعتبر الشاعر المرأة رمز السعادة و الاستقرار كونها تحمل بين طياتها كل المظاهر التي تعج بالحياة.

أما الأعشى فيرى أن اهتمام زوجته به قد نغّص عليه حياته ،فقد كانت تراقبه كثيرا وتمنعه من اسراف ماله في الخمر واللهو،فيقول رادا عليها، (3)

**دريني لك الويلات آت الغوانيـــــا****متى كنت زراعا أسواق السوانيـــا**

فقد منعته لغيرتها و خوفها عليه من حضور مجالس الغواني لتضمن بقاءه لها و بجانبها.

---

1-ابو عبد الله الحسين الزوزني،شرح المعلقات السبع،ص.14

2-المصدر نفسه،ص.17

3- محمد فوزي حمزة ،دواوين الشعراء العشرة،ص. 185

و لم يقتصر دور المرأة في الاهتمام بالرجل كانسان تعيش معه و تتصدى من أجله لقساوة الحياة،بل ساهمت معه حتى في حروبه ،و في هذا الصدد ،يقول عمرو بن كلتوم: (1)

**يقدن جيادنا و يقلن لستـــــــم****بعولتنا إذا لم تمنعونـــــــا .**

فمن بيت عمرو بن كلثوم نلمس اعتناء المرأة بالجياد فيعلفهن و ينظفهن ،و لتشجيعيهن أزواجهن يقولهن((لستم أزواجنا إذا لم تمنعونا من سبي الأعداء إيانا))(2).

فهذه العفة التي كانت عليها النساء ،دفعت بالرجال بالإستماتة لأجلها و خوض المعارك بكل ما أوتوا من قوة للدفاع عنها و عن شرفها و شرفهم كونها الأساس الذي تقوم عليه حياتهم.ولعل من مظاهر رمزية المرأة على الخصوبة،هو تشبيهها بالنخلة المثمرة ،كما في قول امرئ القيس: (3)

**و فرع يغشى المتن أسود فاحم****أثيث كقنو النخلة المتعثكـل**

فهذا التشبيه البديع لحبيبته على أنها نخلة يعود إلى تقديسهم للنخلةالتي تتحدى القر و الحر و تعطي دائما ثمارا طيبة.

أما طرفة بن العبد فيشبهها بالنجمة أو الشمس في قوله: (4)

**سقته إيّا ةُ الشمس الا لثاتـــــه****أُسفّ ولم تكدم عليه بإثمـد**

**ووجه كأن الشمس حلت رداءها****عليه نقي اللون لم يتخـــدد**

فالمرأة هنا في نظره في الشمس للنور و الضوء الذي تشع به على الأرض

1-مفيد قميحة،شرح المعلقات السبع ،دار هلال ،2003،دط،ص.228

2-المرجع نفسه،ص.228

3-محمد فوزي حمزة،دواوين الشعراء العشرة،ص.54

4-المرجع نفسه،ص53.

مقابل ما تشع به المرأة على حياة الرجل فتفضي عليه بكل الخيرات و ما تشتهيه نفسه و في وصفه لها بالثريا يقول امرؤ القيس : (1)

**تجاوزت أحراسا إليها و معشرا****عليّ حراصا لو يسرن مقتلـي**

**إذا ما الثريا في السماء تعرضت****تعرّض أثناء الوشاح المفضّل**

وهنا ينظر للمرأة على أنها الثريا التي يهتدي بها في الليل فهي التي تنير له الطريق الصائب الذي يؤمن له الحياة والبقاء.

1-المصدر السابق،ص33.

## 3-الماء رمز الحياة:

تتخبط الحياة الصحراوية بين حياة و موت وبين مطر و جفاف وكون البيئة الصحراوية قاسية بطبعها فقد تميزت في كثير من الوقت بالجفاء و الجدب ،و أثرت سلبا على سكانها غير أن العربي وبكل ما يحمله من سماة العزيمة و القوة –النفسية-استطاع بمخيلته و بفكره أن يجعل هذه الطبيعة تنصاع من حين لآخر لرغباته فحول كل شيء خراب و موات إلى مكان يعج و ينبض بالحركة والحياة.

ونبتدئ هذا التحول من الجمود الى الحركة بالوقفات التي يعتمدها الشاعر للبكاء على الأطلال و التي من خلال دموعه يستحضر عوامل الطبيعة التي تساعده على جريان السيول و الجداول في هذا الطلل ،فوقفة امرؤ القيس على الطلل و استدعاء أصدقاءه لكي يشاركوه البكاء هي استدعاء للمطر وذلك في قوله: (1)

**قفا نبك من ذكرى حبيب و منـــــزل**** بسقط اللوى بين الدخول فحومل**

ففعل الأمر (قفا نبك) هو دعوة لمشاركة في عمل الوقفة حيث أحس أن دموعه المنهمرة لا تكفي لري المكان وجعله خصبا من جهة ،و من جهة أخرى يقوم باستفزاز الطبيعة كي تلتفت اليه و تسقط مطرها على هذا الطلل كي يعيد دورة الحياة إليه،و بهذا فالشاعر يتحول الى ساحر يعمد الى استحضار البرق و مراقبته ،كما يقول الاعشى في معلقته: (2)

**يا من يرى عارضا بت أرقبـــــــه****كأنها البرق في حافاته الشُّغـــــل**

**له رداق و جوز مفأم عمـــــــــــل****منطق بسجال الماء منصـــــــــل**

**لم يلهني اللهو عنه حين أرقبـــــه****ولا اللذاذة من كأس و لا الكســـل**

**فقلت للشرب في ذرنى و قد ثمـــــلوا****شيموا و كيف شيم الشارب الثمل**

1-محمد فوزي حمزة،دواوين الشعراء العشرة،ص.33

2-المصدر نفسه،ص343.

**برقا يضئ على الجزاع مسقطه****و بالخيبة منه عارض هطل**

فالأعشى في وصفه البرق إنما يصفه وصفا يستدل به على قوته وما يحمل معهمن سحب و أمطار تبعث الحياة ولم يكتف بمدامعه التي شبهها بالجداول و الانهار .

أما لبيد بن ربيعة فجعل من الأمطار سيولا جارفة لا تتوقف طول العام،اذ يقول: (1)

**رزعت مرابيع النجوم و صبابها ****و دق الرواعد جودها فرهامها**

**من كل سارية وغاد مدجـــــــن**** وعشية متجاوب إرزامهـــــا**

فكل هذه الامطار و الخيرات ما هي الا رمز جديد يعطي للجاهلي معنى و روحا جديدين للحياة ،رغم أنها تتسبب في كثير من المرات في خلق العداوة بين القبائل يدوم مداها لسنين و هذا بالإقتتال على الآبار و المياهو الجداول و المجاري المائيةحيث سميت :بالحوض و الطوى والمدافع والريان و الرجل و القطيبات و لبنى و الخبث...و في ذلك أمثلة شعرية حيث يقول لبيد بن ربيعة: (2)

**فمدافع الريان عري رسمها****خلقا كما ضمن الوجي سلامها**

ولقد أكثر الشعراء في وصف الأمطار من صيغة اسم الفاعل –وهي صفة ساعدتهم على الانطلاق في أسر الزمن –وأمثلة ذلك أسماء الأفعال :الهامل الهاطل ،الوابل،المدجن،العارض ...،و ما هذه الأسماء إلا لدليل الاهتمام بالماء و موارده و المكانة التي يحضى بها الماء عند الجاهليينو التي عبر عنها شعرائهم.

فكل حركة تقدمها الطبيعة للشاعر –خاصة لما في وراءها حياة وازدهار-تجعله أكثر قدرةعلى تحمل أعباء الحياة،فالمطر و الماء بالنسبة له هو بعث آخر للحياة ييسر له حياته و يبعده عن دائرة القلق.

1-المصدر السابق،ص.121

2-المصدر نفسه،ص406.

# الفصل الثاني: مظاهر الموت في الطلل

الفصل الثاني :

1-صورة الهدم في الديار.

2-عجز الطلل عن الكلام.

3-البكاء المعادل للموت.

لا تتفق الحياة الصحراوية التي تتميز بالترحال مع الحياة المستقرة التي تتميز بها المدن مما دفع بسكانها إلى التنقل والرحلة ،أين يجدون الأرض التي تصلح للرعي والإنبات ليستقروا فيها ،فتحولت القساوة الطبيعية إلى قساوة نفسية ،و أصبح البدوي لفرط بحثه عن مصلحته الشخصية يعتدي على جاره الذي يعيش ظروفا أفضل من ظروفه و سلاحه في ذلك الغارات والحروب .

هذه القساوة التي فرضها البيئة الجغرافية ((استطاعت إلى حد بعيد أن تجعل البدوي لا يخضع لقانون التباين و التقدم و التطور))(1) .فكثرت الغارات بين الأعراب في الصحراء إلى أن أصبحت صفة ثابتة فيهم ،فنرى القبائل تمارس الغزوات دون رادع أو وازع معقول.ولقد عبّر الشاعر عمرو بن كلثوم عن هذا المبدأ،إذ يقول:(2)

**و إنّ غدا و إنّ اليوم رهـــــن **** وبعد غدٍ بما لا تعلمينـــــا**

**بيوم كريهة ضـــــربًا و طعنًـــا **** أقر به ماوليك العيونـــــا**

فالشاعر هنا يصور حتمية الحرب التي أصبح القبائل تمارسها لإرضاء غريزتهم التي دفعتهم لذلك فالصراعات الدامية بين القبائل جعلت من المقت سيفا على أعناقهم خاصة و أن نتائجها شنيعة و في هذا الصدد يقول زهير بن أبي سلمى : (3)

**و ما الحرب إلا ما علمتم و ذقـــــــتم **** وما عنها بالحديث المرجـــــــم**

**متى تبعثوها تبعثـــــــوها ذميمـــــة **** وتضرإذا ضريتموها فتضـــــرم**

**فتعرككم عرك الرحلى بثفالهـــــا **** وتلقح كشافا ثم تنتـــج فتتئـــــــــم**

(1)محمد زكي العشماوي،النابغة الدبياني مع دراسة للقصيدة العربية في الجاهلية،ص12

(2) محمد فوزي حمزة ،دواوين الشعراء العشرة،ص181

(3)المصدر نفسه،ص107

فقد أصبح العربي يتأفف لكثرة الحروب و الصراعات، يتأفف من خسائرها التي أفنته جسدا و روحا ،رغم أن الطبيعة هي التي أجبرته على ذلك فلا مخرج له سوى الدفاع عما يملكه أو يأخد ما يملك غيره ليضمن له بقاءه و استمراره.

فهذه الحروب التي أثقلت كاهله أغرقته في آلام و ضعف نفسي بسبب فقدانه أحبائه و خلانه الذين لم يتركوا له سوى الدموع التي يرميها على أطلال ديارهم و قبورهم و ذكرياتهم .

## 1 – صورة الهدم في الديار:

تكمن جودة المعلقات في أنها كانت نتيجة تجارب سابقة حسب رأي امرؤالقيس و خاصة فيما يتعلق بالوقوف على الطلل ،إذ يقول: (1)

**عُوجا على الطلل المحيل لأننـــا **** نبك الديار كما بكى ابن خدام**

فعندما نمضي إلى تأمل صور هذه اللوحة الإفتتاحية بعدما قمنا باستقراء مجموعة منها ،ستنتج أن المشاهد و الآثار الطللية التي أبقتها الطبيعة قد أصبحت رمزا لليأس ،و انمودجا للخراب و الموت ،فتلك الآثار التي تعود على نفسية الواقف عليها بالحزن و المعاناة و الشعور بالشجن والضعف ،لأنها ترهقه بسسبب محاولته إسترجاع ماض لا يمكنه أن يعود .و بهذا فالنفس (( ستظل مشدودة إلى تهيئة و تلوفير المناخ النفسي المطلوب لقبول معطيات التجربة الإنسانية التي يعالجها غرض القصيدة الرئيس )) (2)

فالتعلق الكبير للإنسان الجاهلي بالأهل و الأحبة جعله يتأثر بوجودهم و مسامرتهم له بقدرما يتأثر بفقدانهم و غيابهم ،فنجده يشخص الأطلال تماشيا مع أصحابها ،فوصف الأطلال بأنها- لم يعف رسمها –في قول امرؤ القيس: (3)

**فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها **** لما نسجتها من جنوب و شمأل**

فهي تدل على ذكرى ((الأحبة و ألم النقصان والفناء.))(4) .فبالأمس كانت الأطلال ديارا عامرة بكل معالم الحياة ،وبعد ذهاب أصحابها بقية مجرد آثار مليئة بالنؤي و الأثافي التي تشبه العضام النخرة المتخلفة من رفاة الموت (( تلك عظام الحياة يجدها الشاعر موضوعة أمام عقله حيثما التفت ،و لولا

1-المصدر السابق،ص 30.

2-محمود الجادر،دراسات نقدية في الأدب العربي،بغداد1974،ص8.

3-محمد فوزي حمزة،دواوين الشعراء العشرة،ص33.

4-عفت الشرقاوي،دروس ونصوص في قضايا الأدب الجاهلي،دار النهضة العربية للطباعة و النشر،دت،ص237.

هذه العظام لما وجد الشاعر شيئا يستحق الصحبة أو البكاء أو استيقاف صحبه أوالتحدث مع النفس))[1]

فالأثافي الباقية دليل على أن هناك من كان يثير الرماد فيها ،فالمراة هي الأقدر على الطهو و الإهتمام بالرجل مما تترك في نفسه حزنا شديدا عند فراقها أكثر من غيرها ممن يحيطون به كالأهل و الخلان.

وهو ما نجده في طللية طرفة،حيث يقول: [2]

**لخولة أطلال ببرقة ثهمـــــــد****تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد**

**وقوفا بها صحبي علي مطيهم ****يقولون لا تهلك أسى و تجلـــد**

فالآثار المائلة على سطح الأرض من ديار حوله بدت له و كأنها آثار وشم في ظاهر يد المرأة التي لا تزول ،فالديار المهدمة تدل على موت أصحابها و هجرهم و عدم عودتهم مما حزّ في نفس الشاعر حتى صار غيره يواسونه و يطلبون منه التجلد و التمسك.

1-مصطفى ناصف،مقدمة الشعر العربي،ص..121

2-ابو عبد الله الحسين الزوزني،شرح المعلقات السبع،المكتبة العصرية للطباعة و النشر و التوزيع،دت،دط،الجزائر،ص54.

## 2-عجز الطلل عن الكلام:

شغل الإنسان منذ أن وجدعلى هذه الأرض بمعادلة الحياة و الموت ، يساوره حينا هاجس الخلود هروبا من إحساسه المؤلم بأن الموت نهاية حتمية لوجوده المادي ،فضلا عن تصوراته المخيفة إزاء عالم ما بعد الموت(1)، ونراه حينا آخر يكتفي -إثر تلاشي أمانيه بالخلود-بطول الحياة ما استطاع إلى ذلك سبيلا و إيثار الخلود المعنوي من بعد في أدنى تطلع (2) و كان الشاعر الجاهلي واعيا بتفاصيل هذه المعادلة ،فحاول أن يعالج أبعادها بما يُشبع طموحه الإنساني المشروع و يعبر في الوقت نفسه عما تختلج نفوس أبناء مجتمعه من وساوس و تطلعات و صراعات بهذا الشأن ،و لاسيما أن غالبيتهم كانت محاطة بمعتقدات الديانات الوثنية التي يرجى منها ما يحقق أملا ،و يبدد خوفا،و يوفر طمأنينة في الحياة و الموت معا(3) .

ويبدو أن بعض شعراء العصر قد اتجهوا إلى معالجة فكرية في صياغة فنية جمعوا فيها الرؤيتين المتعارضتين (الحياة و الموت)،وهذه هي الفارقة بعينها بوصفها نوعا من التناقض أو تجاورا بين وجهتي نظر متعارضتين ،و لعل عبيد بن الأبرص كان الأجدر في صياغتها شعرا ،عندما قرر منطقا يلخصه(4) ،قوله(5):

**إن يك حُوِّلَ منها أهـــــــــلها **** فلا بدئٌ و لا عجيـــــبُ**

**أويك أقفر منها جوّهـــــــــا **** و عادها المحل و الجدوب**

---

1-ينظر،أحمد اسماعيل النعيمي :الشعر الجاهلي :منطلقاته الفكرية...وآفاقه الإبداعية،ط1،2010م-1430ه،الدار العربية للموسوعات ،ص137.

2-ينظر،محمود الجادر ،المتابعة القيمة لبحث هاجس الخلود في الشعر العربي-قبل الإسلام-ضمن كتاب (دراسات نقديةفي الادب العربي)بغداد،1990،ص227وما بعدها.

3-ينظر،احمد اسماعيل النعيمي ،الأسطورة في الشعر العربي-قبل الاسلام-،القاهرة،1995،ص156ومابعدها.

4- ينظر،أحمد اسماعيل النعيمي :الشعر الجاهلي :منطلقاته الفكرية...وآفاقه الإبداعية،ص138

5-محمد فوزي حمزة،دواوين الشعراء العشرة،ص406.

**فكل ذي نعمة مخلوسهـــــا ****و كل ذي أمل مكــدوب**

فهي مفارقة كشف عن الذات ،تبدو في أن المرء له الحق في إبداء طموحه بطول العيش،لكنه – بوعي أو دونه-يسعى إلى ما هو أشد عدابا له و هنا يكمن النقيضان (الحياة و العداب)،فالحياة عنده هي كل ما يسهل عليه مطالبه و يوصله إلى أمانيه لكن القساوة الطبيعية من جهتها تفسد عليه هذه المتعة فتغمس به في العداب النفسي والروحي ليشكلا مفارقة بعينها .

ويشاطر زهير بن أبي سلمى نظيره في هذا المنطلق ،و يؤكدأن طول الزمن ما هو إلا عناء يسعى المرء إلى تحقيقه هو نقيض لذلك الطموح كما في قوله :[1]

**سئمت تكاليف الحياة و من يـــعش****ثمانين حولا لا أبا لك يســـــــأم**

فمهما تسعى النفس في العيش لمدة أطول .تصل في مرحلة معينة –الشيخوخة-الى الملل من هذه الحياة خاصة إذا اصبح الانسان عاجزا عن فعل ما يريده فالكهولة تلي بعدها الشيخوخة،والشيخوخة هي آخرمحطة تقف أمامها الحياة لأن ما يليها هو الموت الفناء ،حيث يقول عبيد بن الابرص : [2]

**أرض توارثـــها الجـــــــــدود**** فـــــتكل من حلها محـــروب .**

**إما قتيلا و إما مقتـــــــــــــول****و الشيب شين لمن يشيـــــــب .**

.فلكل مرحلة في الحياة وقفاتها ،و الوقفة الطللية اقترنت أول الأمر بالبكاء قبل أن يُحول الوقوف إلى مدلولات أكثر تشبعا و إثارة ،حتى أننا نلمس ذلك في مطلع القصائد -المكتملة فنيا- المنسوبة إلى امرؤ القيس[3]

1-المصدر السابق،ص107.

2-المصدر نفسه،ص407.

3- ينظر،أحمد اسماعيل النعيمي ،الشعر الجاهلي :منطلقاته الفكرية...و آفاقه الإبداعية،ص 138

و في نفس السياق يقول عنترة بن شداد : (1)

**هل غادر الشعراء من متـــــردم ****أم هل عرفت الدار بعد توهــم**

**أعياك رسم الدار لم يتكلـــــــــم ****حتى تكلم كالأصم الأعجـــــم**

فوقوف الشعراء –السابق ذكرهم – على هذه الأطلال و محاولة استنطاقهم لها يذهب بالنفس التواقة إلى الدار إلى حد اليأس لعدم و جود إجابة عنهم ومنهم.

و في معلقة زهير بن أبي سلمى : (2)

**أمن أم أوفى ذمنة لم تكلـــــم **** بحومانة الدراج فالمتثلـــــم**

ففي هذا البيت يستنطق زهير بن أبي سلمى الدمنة بسؤالها عن أم أوفى عله يجد جوابا عن مكانها غير أنها لم تجبه مما زاد من عذابه ،فما أصعب سؤال من لا يجيب و لا يملك الجوابوهذا إمعان في في تصوير حالة الموت والتناهي.

وإلى سؤال آخر طرحه لبيد بن ربيعة،إذ يقول: (3)

**وقفت أسألها و كيف سؤالنـــــا****صما خوالد ما يبين كلامهـــا**

**عريت وكأن بها الجميع فأبكروا****منها و غودر نؤيها و ثهامها**

ليسأل النابغة الذبياني هو الآخر دالر مية ،فيقول : (4)

**يا دالر مية بالعلياء فالسند****أقوت و طال عليها سالف الأبـــد**

**وقفت فيها أصيلانا أسائلها****عيّت جوابا وما في الربع من أحد**

1-محمد فوزي حمزة ،دواوين الشعراء العشرة ،ص.248

2-المصدر نفسه،ص.106

3- المصدر نفسه،162..

4- المصدر نفسه،372

فالمبرد يعزو كلام الطلل عند الشعراء إلى انه يعنى ((ما يرى من الآثار فيها ،من قدم أهلها و حدثان عهدهم ))[1]،فالتفجع و السؤال و التوتر هو الذي ألم بالشعراء و هو رد فعل طبيعي لصورة منازل الحبيبة التي ناداها زهير بأم أوفى،و النابغة بمية... و لكن لم يستجب لهم لا الأهل و لا آثار الديار ،فبالرغم من أنهم يدركون أن الآثار الباقية لا تتكلم إلا أنهم كانوا يرجون جوابها .فالعجز عن الكلام قضى على كل آمالهم في عودة أهل هذا الطلل فاكتفوا بسكب دموعهم على الذكريات.

1- المفضل الظبي، المفضليات،تحقيق حمد محمد شاكر و عبد السلام هارون ،بيروت لبنان،ط2،ص216.

## 3-البكاء المعادل للموت: (على الديار و على فراق الحبيبة):

إن غياب المعتقد الديني الذي يضمن للعربي في الجاهلية بأن هناك حياة أخرى بعد الموت ،قضى على كل آماله في العيش الهانيءفكانت حتمية الموت تؤرق باله و تثقل عليه بالكثير من الأسئلة المحيرة عن هذه الجدلية –جدلية الحياة و الموت-حيث إن الشاعر الجاهلي حمل إلينا مواقف عديدة تصور لنا صراعه من أجل البقاء و التي ترجمها في ذلك القصص الشعري الذي حمل مضمونا فكريا يعبر عن ثنائية الصراع بين البقاءوالفناء و ربط مصير الشاعر بحتمية الموت و لكنه يحاول قدر الإمكان أن يتشبث بالبقاء ،ولقد عبر الشاعر طرفة عن هذه الحتمية في قوله: (1)

**أرى الموت يعتام الكرام ويصطفي****عقيلة ما الفاحش المتشـــــدد**

**أرى العيش ناقصا كل ليلـــــــــة****و ما تنقص الأيام و الدهر ينفد**

**لعمرك إن الموت ما أخطأ الفتـــى****لكالطول الموحش و ثناياه باليد**

**متى ما يشأيوما يقده لحتفـــــــه****و من يك في حبل المنية يُنقــد**

فقد آمن العرب بحتمية الموت ،و أدركوا أنه لا هروب منه .فالموت يشد بحباله على أعناقنا ،كما جاء في البيت الأخير و الخلود لا يترجم بالحياة الثانية،وإنما بما قدم الشخص في حياته وعدم اضاعته وقته ،و كذا فيما أمضى من هذه الحياة بطولها أو قصرها لتحقيق ما يمكن من أمجاد.

و يتوافق زهير بن ابي سلمى مع رأي طرفة بن العبد ، إذ يقول : (2)

**رأيت المنايا خبط عشواء من تصب****تمته و من تُخطئ يعمر فيهرم**

**و أعلم علم اليوم و الأمس قبله****و لكنني عن علم ما في غد عمي**

---

1- محمد فوزي حمزة ،دواوين الشعراء العشرة،ص55

2-المصدر نفسه،ص107.

إلى أن يقول : (1)

**و من هاب أسباب المنايا ينلنه****ولو نال أسباب السماء بسلم**

وفي صدى أبيات زهير حقيقة مفادها (( أن الانسان في هذه الحياة يعرف الحاضر الذي يعيشه،والماضي الذي مر عليه و لكنه يجهل ما في الغد))(2).فهذه النهاية الحتمية للإنسان تذهب معها كل أمل باق له في الحياة ،و على الرغم من أن هناك آثار تشير إلى عناصر كان يحيا معها كالمرأة، إلا أنها مع مرور الزمن تضمحل هي الأخرى تدريجيا كالطلل فلا يظل له سوى (( البكاء على أطلالها و استرجاع ذكرياتها))(3).فهي الأخرى تشغل محل الديار كونها الأرض الخصبة و الحيار المتجددة ((فإن هاجرت المرأة و رحلت بكاها و رثا بعدها ،و حن إليها شاعرا أن الحياة إثرها ليست سوى طلل مهجور و آثار عافية ،و عالم تعصف فيه ريح الوحشة))(4). كون المرأة رمز الخضب الذي يستمد منه الشاعر الجاهلي أسباب حياته ،فمهما حاول الشاعر البحث عن نفسه في ذوات غيره –المرأة أوالصاحبة-يبقى دوما يشعر بذلك النقص الذي نكد عليه حياته و الذي تسبب فيه هاجس الموت لديه ضعفا نفسيا هدم حياته وجعلها –حسب رأيه- حفرة ظلماء لا أحد يسأل عنه بعد دخوله فيها.

---

1- المصدر السابق،ص.107

2-ينظر:زهير بن ابي سلمى،الديوان،دار بيروت،ص110.

3-- بوجمعة بعيو ،المقدمة الطللية بين الاستجابة النفسية و التقليد الفني ،مجلة التراث العربي دمشق ،عدد56 سنة 19تموز1999.

4-–يوسف خليف،دراسات في الشعر الجاهلي،دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع،دت،ص224.

**الخاتمة:**

من خلال ما سبق أرجو انني قد فتحت بابا آخر يساعد في الوصول إلى إدراك جدلية الحياة والموت لدى الشاعر الجاهلي من خلال شعر المعلقات و الذي يعد –هذا الموضوع-من المواضيع التي تتناول جانب التفكير المعمق للرؤى و الاعتقادات للحياة و الموت انطلاقا من نظرته كعربي في العصر الجاهلي .

فالحياة عند العربي كانت اهم مرحلة سعى فيها العربي لتحقيق طموحه ،حيث كانت نظرته فلسفية حيث جعل من بقايا الديار رمزا للحياة و التجدد و من المراة رمزا آخر لها فقد لخص فيها كل مظاهر الخصوبة و النماء والعطاء ،فهي سنده الوحيد و دافعه للعيش بعيدا عن كل مطبات الحياة و قساوتها لتكون أرقى صور الحياة عنده في نظره هي أكله و شربه حيث حضي الماء هو الآخر الريادة كونه الأساس الذي تبنى عليه الحياة، فالماء يجعل كل شئ حيا و يسهل و يبعد هذا العربي عن الصراع من أجله..فمهما كانت العناصر السابقة الذكرهي أحد محطات الحياة لدى العربي قديما إلا أنها تعد الأهم في نظره و من دون منازع .

فمهما تطل الحياة بجميل أيامها و ذكرياتها الا أننا نصل لأكبر خطوة توصل للمرحلة التي أرقت بال العربي الجاهلي قديما هي مرحلة الموت التي توصل الانسان الى اخر معقل له في الحياة فكثيرا ما كانت الاثار التي يخلفها السابقون محطات أسى و ألم شديدين أمام هذا العربي فقد أوصدت صور الديار المهدمة أمام أمله كل باب النفاذ منه خاصة وأنه عند مسائلة الربع لا يجيبه أحد عن مكان أهل الدار مما زاد من ألمه حد البكاء فما أصعب أن نفارق الأحباب الى مكان مجهول المصير.

فمهما كانت الحياة طويلة و كثيرة اللحظات التي تدفعنا دائما الى طلب المزيد و المضي قدما الا اننا في الأخير نصل الى المحطة الاخيرة التي نصير فيها مجرد ذكرى ينظر اليها غيرنا نظرة تحصر .

القرآن الكريم.

**قائمة المصادر و المراجع:**


-ابن الأنباري،تحقيق عبد السلام هارون،شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات،دط،مصر،1980.

- ابي عبد الله الحسين الزوزني،شرح المعلقات السبع، المكتبة العصرية للطباعة و النشر و التوزيع،الجزائر.

- زهير ابن ابي سلمى ،الديوان، دار بيروت

-ابن قتيبة،الشعر و الشعراءتحقيق وشرح أحمد محمد شاكر،دار المعارف،ج1،القاهرة1967.

- طرفة بن العبد،الديوان،دار بيروت،دط،دت.

-عبد الرحمن مصطفاوي،ديوان امرئ القيس ،دار المعرفة ،بيروت ط2،2004.

- محمد فوزي حمزة ،دواوين الشعراء العشرة،الطبعة الاولى،س 2007،مكتبة الآداب،القاهرة.

-محمدابي الفضل ابراهيم و السيد شحاتة،الكامل في اللغة والأدب،المبرد،دط،مصر،دت،ج2.

- أحمد اسماعيل النعيمي ،الشعر الجاهلي :منطلقاته الفكرية...و آفاقه الإبداعية،ط1،2010م-1430هـ،الدار العربية للموسوعات.

- أحمد اسماعيل النعيمي،الاسطورة في الشعر العربي-قبل الاسلام،القاهرة،1995،دط.

-حمد محمد شاكر و عبد السلام هارون(تحقيق و نشر)،المفضليات،بيروت لبنان،ط2

-خالد رشيق القاضي،ضبط نصه و حواشيه،لسان العرب،2006،دارالصبح،ط1.

- عمر محمد طالب ،عزف على وتر النص الشعري ،دراسة في تحليل النصوص الادبية الشعرية ،منشورات أتحاد الكتاب العرب،دط دمشق2000.

-عفت الشرقاوي،دروس ونصوص في قضايا الأدب الجاهلي،دار النهضة العربية للطباعة والنشر،دت.

- محمد زكي العشماوي ،النابغة الذبياني مع دراسة للقصيدة العربية في الجاهلية ،دار الشروق الأولى،1994م.

- محمود الجادر،المتابعة القيمة لبحث هاجس الخلود في الشعر العربي-قبل الاسلام- ضمن كتاب(دراسات نقدية في الادب العربي ) ،بغداد،1990.دط.

- محمودالجادر ،دراسة نقدية في الادب العربي ،بغداد 1974 .

- مصطفى ناصف،مقدمة الشعر العربي،دط،دت.

-المعجم الوجيز،مجمع اللغة العربية،ط1،1980م1410هـ،ج1.

-مفيد قميحة،شرح المعلقات السبعة،دار الهلال،دط،2003.

-نوري القيسي وزميلاه،تاريخ الادب العربي قبل الاسلام،دط،بغداد،1989.

-يوسف خليف،دراسات في الشعر الجاهلي،دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع،دت

**الانترنيت:**

- بوجمعة بعيو ،المقدمة الطللية بين الاستجابة النفسية و التقليد الفني ،مجلة الثراث العربي دمشق ،عدد56 سنة 19تموز1999.

**الفهرس:**

-مقدمة.

-مدخل.....1

أولا :ضبط المصطلحات:.....1

-مفهوم الجدلية.....1

-مفهوم الطلل.....3

ثانيا:خلفية الصراع بين الحياة و الموت لدى الشاعر الجاهلي:.....4

-صراع الشاعر مع نفسه.....5

- صراع الشاعر مع الآخر.....5

- صراع الشاعر مع الطبيعة.....8

الفصل الاول : مظاهر الحياة في الطلل..... 12

1-آثار الديار النابضة بالحياة.....13

2-المرأة/الخصوبة.....17

3-الماء رمز الحياة.....21

الفصل الثاني :مظاهر الموت في الطلل.....25

1- صورة الهدم في الديار .....26

2-عجز الطلل عن الكلام .....28

3-البكاء المعادل للموت.....32

-الخاتمة

-قائمة المصادر والمراجع

-الفهرس